

تفسير السعدي

@ 539 @ فاحمدوه . وقوله : ! 2 2 ! أي : ليس المقصود منها ، ذبحها فقط . ولا ينال
□ من لحومها ، ولا دماؤها شيء ، لكونه الغني الحميد ، وإنما يناله الإخلاص فيها ،
والاحتساب ، والنية الصالحة ، ولهذا قال : ! 2 2 ! . ففي هذا ، حث وترغيب على الإخلاص في
النحر ، وأن يكون القصد وجه □ وحده ، لا فخرا ، ولا رياء ، ولا سمعة ، ولا مجرد عادة ،
وهكذا سائر العبادات ، إن لم يقترن بها الإخلاص ، وتقوى □ ، كان كالقشر الذي لا لب فيه ،
والجسد ، الذي لا روح فيه . ! 2 2 ! أي : تعظموه وتجلوه . ! 2 2 ! أي : مقابلة
لهدايته إياكم ، فإنه يستحق أكمل الثناء وأجل الحمد ، وأعلى التعظيم . ! 2 2 ! بعبادة
□ بأن يعبدوا □ ، كأنهم يرونه ، فإن لم يصلوا إلى هذه الدرجة ، فليعبدوه ، معتقدين
وقت عبادتهم ، اطلاعه عليهم ، ورؤيته إياهم . والمحسنين لعباد □ ، بجميع وجوه الإحسان
من نفع مال ، أو علم ، أو جاه ، أو نصح ، أو أمر بمعروف ، أو نهى عن منكر ، أو كلمة
طيبة ونحو ذلك . فالمحسنون ، لهم البشارة من □ ، بسعادة الدنيا والآخرة وسيحسن □
إليهم ، كما أحسنوا في عبادته ولعباده ! 2 2 ! ! 2 2 ! . ! 2 2 ! هذا إخبار ، ووعد
، وبشارة من □ ، للذين آمنوا ، أن □ يدفع عنهم كل مكروه . ويدفع عنهم بسبب إيمانهم
كل شر من شرور الكفار ، وشرور وسوسة الشيطان ، وشرور أنفسهم ، وسيئات أعمالهم ويحمل
عنهم عند نزول المكاره ، ما لا يتحملون ، فيخفف عنهم غاية التخفيف . كل مؤمن ، له من
هذه المدافعة والفضيلة ، بحسب إيمانه ، فمستقل ، ومستكثر . ! 2 2 ! أي : خائن في
أمانته ، التي حمله □ إياها ، فيبخرس حقوق □ عليها ، ويخونها ، ويخون الخلق . ! 2 2 !
! لنعم □ ، يوالي □ عليه الإحسان ، ويتوالى منه الكفر والعصيان . فهذا لا يحبه □ ، بل
يبغضه ويمقتة ، وسيجازه على كفره وخيانتة ، ومفهوم الآية ، أن □ يحب كل أمين قائم
بأمانته ، شكور لمولاه . ^ (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن □ على نصرهم لقدير *
الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا □ ولولا دفع □ الناس بعضهم ببعض
لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم □ كثيرا ولينصرن □ من ينصره إن □
لقوي عزيز * الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف
ونہوا عن المنكر و□ عاقبة الأمور) ^ كان المسلمون في أول الإسلام ، ممنوعين من قتال
الكفار ، ومأمورين بالصبر عليهم ، لحكمة إلهية . فلما هاجروا إلى المدينة ، وأوذوا ،
وحصل لهم منعة وقوة ، أذن لهم بالقتال ، كما قال تعالى : ! 2 2 ! يفهم منه أنهم كانوا
قبل ممنوعين ، فأذن □ لهم بقتال الذين يقاتلونهم ، وإنما أذن لهم ، لأنهم ظلموا ،

بمنعهم من دينهم ، وأذيتهم عليه ، وإخراجهم من ديارهم . ! 2 2 ! فليستنصروه ،
وليستعينوا به . ثم ذكر صفة ظلمهم فقال : ! 2 2 ! أي : ألجؤوا إلى الخروج ، بالأذية
والفتنة ! 2 2 ! أن ذنبهم الذي نقم منهم أعداؤهم ! 2 2 ! أي : إلا لأنهم وحدوا ،
وعبدوه مخلصين له الدين ، فإن كان هذا ذنبا ، فهو ذنبهم كقوله تعالى : ! 2 2 ! . وهذا
يدل على حكمة الجهاد ، فإن المقصود منه ، إقامة دين الله ، أو ذب الكفار المؤذنين
للمؤمنين ، البادئين لهم بالاعتداء ، عن ظلمهم ، واعتدائهم ، والتمكن من عبادة الله ،
 وإقامة الشرائع الظاهرة . ولهذا قال : ! 2 2 ! فيدفع الله بالمجاهدين في سبيله ، ضرر
الكافرين . ! 2 2 ! أي : لهدمت هذه المعابد الكبار ، لطوائف أهل الكتاب ، معابد
اليهود ، والنصارى ، والمساجد للمسلمين . ! 2 2 ! أي : في هذه المعابد ! 2 2 ! تقام
فيها الصلوات ، وتتلّى فيها كتب الله ، ويذكر فيها ، اسم الله ، بأنواع الذكر ، فلولا دفع
الله الناس بعضهم ببعض ، لاستولى الكفار على المسلمين ، فخرّبوا معابدهم ، وفتنوه عن
دينهم ، فدل هذا ، أن الجهاد مشروع ، لأجل دفع الصائل والمؤذي ، ومقصود لغيره . ودل ذلك
، على أن البلدان ، التي حصلت فيها الطمأنينة بعبادة الله ، وعمرت مساجدها ، وأقيمت فيها
شعائر الدين كلها ، من فضائل المجاهدين وبركتهم ، فبذلك دفع الله عنها الكافرين قال الله
تعالى : ! 2 2 ! . . فإن قلت نرى الآن مساجد المسلمين عامرة لم تخرّب ، مع أنها كثير
منها إمارة صغيرة ، وحكومة غير منظمة ، مع أنهم لا بد لهم بقتال من جاورهم من الإفرنج .
بل نرى المساجد التي تحت ولايتهم وسيطرتهم ، عامرة ، وأهلها آمنون مطمئنون ، مع قدرة
ولاتهم ، من الكفار على هدمها والله أعلم أنه لولا دفع الله الناس بعضهم ببعض ، لهدمت هذه
المعابد ، ونحن لا نشاهد دفعا . أجيب ، بأن جواب هذا السؤال والاستشكال ، داخل في عموم
هذه الآية ، وفرد من أفرادها . فإن من عرف أحوال الدول الآن ونظامها ، وأنها تعتبر كل
أمة وجنس ، تحت ولايتها ، وداخل في حكمها ، تعتبره عضوا من أعضاء المملكة ، وجزء من
أجزاء الحكومة ، سواء كانت تلك الأمة